الذي شهد الله تعالى به والملائكة والعارفون لي من الناس فها أنا مرسلٌ اليكم بشهادة الضلالة وتقرير التثبيت مع هذا الكتاب ليصدر امركم لأهل هذه العصابة (من) رئاستكم بالتعريف والإعلان باقلاعي عنها والبراءة منها لتشهدوا ويشهدوا عليّ بذلك كما شهد الله تعالى وملائكتهُ ومن عرفني من الناس واطمع في الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب مسموعاً لديكم فيوفقكم بمنّه وكرمه للهداية . . . وفي هذا القدر كفاية مع ما نظنه من أنكم من وجهاء مسلمي مصر والمسلم لا يسعه جهل هذه الاحكام . والسلام على من اتبع الهدى »

حرّر في يوم الثلثاء المبارك لثلاث خلون من شهر جمادي الاولى سنة احدى وعشرين وثلاثمائة بعد الالف . انتهى (له بقية)

افتئات المقتطف على نقد المشرق

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

ورد علينا العدد الاخير من المقتطف الذي تاريخهُ « مايو (أيار) سنة ١٩١١ فوجدنا بين مقالاته نبذةً خطّها جناب منشيهِ بجأتنا (ص ٤٣٩—٤٣٩) . ومن عجيب ما تحويه هذه القالة انّ كاتبها بعد سبع سنوات تنزّل عن رفعة مقامهِ وألقى بنظره السامي الى مجلّتنا التي كاد يجهلها بتاتاً ولولا اشارة بعض اصحابهِ لما عرف انّ في بلاد الشام مجلةً تدعى المشرق فاحتاج الى ان يطلبها من المكتبة الخديوية مع اننا لم ننقطع عن مبادلتهِ منذ ثلاث عشرة سنة فكأنّ صاحب المقتطف لم يجد في المشرق ما يستحقّ الالتفات فكان يلقيها بين الاوراق التي لا فائدة من مطالعتها . اما نحن فنؤكد لجنابهِ اننا نطالع نشرتهُ ونتتبّع فصولها باشتياق فاذا رأينا فيها ما يستحقّ الثناء اثنينا عليهِ كما فعلنا في عددنا السابق (٣٩٩) حيث ابدينا سرورنا لما كتبهُ منشئها في ضرورة الدين وان وجدنا ما يستدعي نقداً فعلنا ليس افتئاتاً كما زعم او بغيةً بالنقد الباطل ولكن لرغبتنا الشديدة في تحسُّن المقتطف شيخ المجلّات العربية في بلادنا فلا يلقى فيهِ قرّاؤه الّا كل مقالة نفيسة مفيدة خالية من كل شائبة فلا تصدم رجلهم بحجر عثرة

ثمَّ انتقل الكاتب الى نقد ملحوظاتنا على مجلَّة المقتطف في سنة ١٩٠٥ فوجد انَّنا لم نصب الرمى في ستَّة امور عدَّدها وفنَّدها. فقبل اثبات صحَّة نقدنا لا بُدَّ من ملحوظ بنقدِّمهُ عليها وهو بطلان المبدأ الذي بموجبهِ يتبرَّأ صاحب المجلَّة من تبعة ما يكتبهُ فيها غيرهُ او ينقلهُ عن غيرهِ فانَّنا لا نجهل انَّ المقالات العلميَّة التي يضعها الاختصاصيُّون في مجلَّة ما يكونون هم المسئولين عنها قبل الكل اذ لا يمكن ان يكون صاحب المجلَّة ضليعاً بكل المعارف متبحِّراً في كل العلوم وكذلك اذا رأى خبرًا علميًّا في الصُّحف الخاصَّة فرواهُ تاركاً فيهِ العهدة على اصحابهِ. وانَّما الامر ليس كذلك في تدوين المقالات الفلسفيَّة والتاريخيَّة والادبيَّة التي تتضمَّن آراء غريبة منافية لمعتقدات كثيرين من العقلاء والعلماء ولارباب الدين فان اثبت صاحب المجلَّة مقالة مثل هذه كان هو المسئول عنها مثل كاتبها ومن ثمَّ اقتضى عليهِ او يرفض تلك المقالة او يدوِّنها مع بيان قول الخصوم فيها فلا ينخدع القرَّاء بسماع المهاجم دون ان يعرف براهين المدافع وادلَّتهُ السديدة فان لم يفعل خان الحقيقة التي يجب عليهِ الذبّ عن حوزتها وكان محقوقاً كأنَّهُ هو الذي كتبها

وهذا امرٌ متعارف في الشرع وفي قوانين كل البلاد المتمدِّنة ألا ترى انَّ اصحاب الامر في كل الدول اذا نشرت جريدة او مجلَّة اخباراً مخلَّة بالراحة العموميَّة او مقالة مهيِّجة للافكار او مضادَّة للسلطة حملوا اوَّلاً على صاحب الجريدة او المجلَّة فحاكموهُ وجازوهُ على فعلهِ وان لم يكن هو كاتب تلك المقالة او ناشر تلك الاخبار لعلمهم بانَّهُ هو صاحبها المسئول. فان كان هذا صحيحاً في امور السياسة كيف لا يصحُّ في ما هو أولى وافضل اعني امور الدين والآداب التي عليها مبنى ترقي العموم كما اثبت صاحب المقتطف في المقالة التي اشرنا اليها سابقاً واطرأناها. وملحوظنا هذا اثبت واصدق في المقالات التي يكتبها صاحب الجريدة او يختارها برضاه ويتصرَّف بها كما يشاء.

فان قرَّ ذلك ادرك صاحب المقتطف الداعي لانتقادنا على بعض كتاباتهِ وان كانت هذه الكتابات ليست الَّا روايات نقلها عن غيرهِ. وسيتَّضح قولنا من ملحوظاتنا الآتية على ما انتقدهُ في المشرق

﴿ الامر الاوَّل ﴾ لامنا صاحب المقتطف اوَّلاً لانكارنا عليهِ ما كتبهُ

في مجلّته (١٩٠٥ ص ٢٩) عن نابوليون وكفره بالمسيح ولسفه على كونه لم يصر بروتستانياً وعدم تصديقه بخلود النفس الى غير ذلك مما تنقضه الآثار التاريخيّة وتخالفه مرويّات الذين عاشوا مع نابوليون. فكان جوابهُ انهُ نقل عن كتاب اللورد روزبري في اواخر نابوليون وانّ اللورد روزبري روى عن بعض اصحاب نابوليون ولاسيما غورغو احد اولئك الرجال. ونحن لا ننكر لمانة المقتطف في النقل كما اننا نعرف مقام اللورد روزبري بين اكابر عصره ولكن اما كان يحسن بالراوي ان يعرض مثل هذه الشكاوى الثقيلة على ما رواهُ كتبة آخرون يوثق بهم كمالسون (Masson) وهوساي (Houssaye) ودوسونفيل (d'Houssonville) وفلنشنجر (Welschinger) الذين أطلعوا على اوراق سريّة مجهولة ونشروا في تواريخهم ما لا يتّفق مع مرويّات المقتطف ويبيّن ما طُبع عليهِ نابوليون من الدين رغماً عمّا صدر منهُ في حقّ الكنيسة ورئيسها من الظلم لمّا اسكرتهُ سلطتهُ. الّا انّ نفيهُ الى جزيرة القديسة هيلانة افاقهُ من تلك السكرة وفاه بتلك الاقوال المسجدة التي نقلها عنهُ الجنرال برتران والمركيز دي مونتولون عن لاهوت السيّد المسيح وشرف دينهِ الكاثوليكي ثم مات تائباً منيباً فهذه الشواهد وغيرها كثيرة لو اشار اليها صاحب المقتطف في مقالتهِ لعرفت نابوليون حقّ المعرفة وما بقي القارئ متحيّراً مضطرباً في امرهِ

﴿ الامر الثاني ﴾ اخذ علينا ثانياً المقتطف كوننا نسبنا اليهِ التمييز بين ابناء الله وابناء البشر فجعل ابناء الله نسل آدم وابناء الناس الامم التي كانت في الارض قبل آدم ومنها الشعوب الصفراء مع انّ وهذا القول هو للسائل الخواجا رشيد فارس ابو ريحان ليس لصاحب المقتطف. نعم الّا انّ جوابهُ ملتبس فما معنى قولهِ انّ «كتّاب النصارى ارتأوا هذا الرأي» وان «احدهم الّف كتاباً عنوانهُ السابقون لآدم الخ» افليس هذا الجواب مثبتاً لقول السائل بانّهُ توجد امم سبقت آدم وان قوماً مؤمنين يقولون هذا القول افما كان ينبغي على صاحب المقتطف ان يزيد على جوابهِ انّ كل من يعتقد صحّة الاسفار الالهيّة لا يوافقون هؤلاء الكتبة الذين بجحودهم لكلام الله لم يعودوا بنصارى سواء كانوا من البروتستانت او من الروم او من الكاثوليك. افكان يكفي للمقتطف ان يقول فقط انّ علماء التفسير لا

يوافقون على ذلك كأنهُ رأي عرضي يقوم مع الايمان المسيحي

﴿ الامر الثالث ﴾ اتسع صاحب المقتطف في ردهِ على قولنا بانهُ « وهم في تلقيب ابي الفرج ابن العبري بجمال الدين وجعلهِ ماطية وطنهِ قرية » فقال انَّ لقب ابن العبري سبقنا الى ذكرهِ في مجاني الادب (٤ : ٣٠٥) وورد في دائرة المعارف وفي آثار الادهار . نقول ان روايتنا لهذا اللقب كانت في سنة ١٨٨١ اذ طبعنا مجاني الادب فوجدناهُ في كتاب كشف الظنون للحاج خليفة (٥ : ٣٨٧) ولعلَّ صاحب دائرة المعارف ومؤلف آثار الادهار نقلاهُ عنهُ وعلى كل حال انَّ هذه الترجمة التي نشرناها وقتئذٍ لا تزيد على بضعة اسطر وقد نشر حضرة الاب صالحاني ترجمة اوسع في مقدمة تاريخ مختصر الدول ثم نشرنا بعد ذلك فصولاً مطوَّلة عن اخبار ابن العبري وتآليفهِ في السنة الاولى المشرق جمعناها في كتاب منفرد في ٧٢ صفحة فما كان احرى بكاتب المقتطف أن يشير الى السائل بتراجمهِ وليس هناك اثر للقب المذكور والظاهر انَّ هذا اللقب هو لابي الفرج ابن الجوزي فأُطلق سهواً على ابن العبري . وتجد في كتابنا ايضاً ان ماطية كانت حاضرة ارمنية الصغرى ومن احفل مدن تلك البلاد بالسكان في أيام ابن العبري ولا تزال حتى اليوم عامرةً فلا يجوز ان تُدعى بقريةٍ استناداً الى مؤلف دائرة المعارف

﴿ الامر الرابع ﴾ ثمَّ عاتبنا صاحب المقتطف لردودنا عليهِ في مسألة « الجواد العالم » وقال انَّ كلامهُ عن ذاك الجواد روايةٌ لما جاء في مجلة المجلات الانكليزيَّة . نعم اننا نقرُّ بانَّ كاتب المقتطف في آخر المقالة ابدى ارتيابهُ في صحة رواية المجلة الانكليزيَّة بل كان الاحرى بهِ ان ينكرها قطعياً كما نفى الامر بعد ذلك في عدد آخر فنشكرهُ على هذه الافادة وياليت مجلة الهلال التي افتت بادراك ذلك الجواد ونطقهِ اسرعت الى تكذيب الخبر كما تسرَّعت في نشرهِ

﴿ الامر الخامس ﴾ رأى صاحب المقتطف اننا لم نصب في تخطئتنا لهُ في ما كتب في الصفحة ٤٩٨ من السنة ١٩٠٥ عن تسلسل الانسان والقرد من اصل واحد . والصواب اننا في المشرق (٨ : ٦٢٦) نقلنا ما رواهُ جنابهُ عن « برنارد اون » المدَّعي بهذا التسلسل « من اصل واحد في سلسلتين مختلفتين » ثم اثبتنا هناك ما قالهُ المقتطف ردًّا على هذا الخطأ . والمقتطف مصيب في هذه التخطئة التي كنَّا وددنا

ان تكون اصرح واوضح لينفي ما ورد مراراً في مجلّته في رأي النشوء الباطل فانَّ الاختلاف بين القرود والانسان ليس هو فقط « هوَّة عقليَّة لا يُسبر غورها » بل اختلاف الناطق عن غير الناطق واختلاف وجود الشيء وعدمه مهما كان بين الحيوان الاعجم والانسان من الشبه في الصورة والتركيب الهيولي . فرجاؤنا انَّ صاحب المقتطف يتبع في ذلك رأي العلماء الاثبات الذين يزيدون كل يوم ابتعاداً عن مذهب دروين في تسلسل الموجودات وترقّيها من الجماد الى النبات الى الحيوان الى الانسان ويتمسَّك ببادئ القالة التي ترجمها عن ورخوف الالماني الشهير (في المقتطف ١٥ : ٦٤١) وهي تنافي المذهب الدروييني كل المنافاة

﴿ الامر السادس ﴾ كذلك احتجَّ صاحب المقتطف علينا لاستغرابنا ما دوَّنهُ في مجلَّته (السنة ١٩٠٥ ص ٤٦٠) وذلك فصل عنوانهُ « دفاع الكلاب » عن لسان كاتبة انكليزيَّة والحقّ يقال انَّنا رأينا فيهِ ما يتجاوز حدود الذكاء والفطنة في الحيوان كما لمَّح اليهِ في مقدَّمة القصَّة وعلى كل حال انَّ تعقيب القصَّة بما يدافع فيهِ الكلب عن نفسهِ ويفضّل ذاتهُ على الانسان من الامور المزليَّة التي لا تليق بمجلَّة علميَّة كالمقتطف ويعتبر صاحبها ذلك الدفاع في آخر المقالة « تعقيباً حسناً » وان اعتبرهُ علماً حلت بهِ الكاتبة فطرتهُ بنيَّة سليمة وهو لم يحتمل البحث العلمي

فيرى منشئ المقتطف أنَّنا في ردودنا السابقة لم نأتِ شيئاً غريباً . وغاية ما تتمنَّاهُ ان تكون مجلَّتهُ في مقدَّمة المجلَّات العربيَّة الشرقيَّة في ابحاثها العلميَّة كما انَّها ارقاها سنا واوسعها نفوذاً ان شاء الله

تاريخ جديد للكنيسة الارمنية

نظر للاب فرنسوا تورنيزن اليسوعي

تشبه الكنائس الشرقيَّة دوحاً باسقاً متأصل الجذور في اعماق الارض ولرف الاغصان وقد امتدَّت فروعها الى البلاد البعيدة فاظلت شعوباً عظيمة

لكنَّ اخبار تلك الكنائس بقيت زمناً طويلاً مجهولةً او مدفونة في خزائن بعض المكاتب لا يُعرف منها الَّا القدر القليل حتى قام في هذه المدَّة الاخيرة قوم من ارباب الهمَّة فاستخرجوا تلك الكنوز من معادنها

ومن جملة الكتائب التي خرجت اخبارها من ليل الظلمات الى نور الوجدان الكنيسة الارمنيَّة التي بقي تاريخ اصولها ملتبساً حتى احيتهُ الآثار المكتشفة حديثاً وافرزت صحيحهُ من سقيمهِ . الَّا انَّنا نمتعض اذ نرى بعض الكتبة ينبذون ظهريًّا شواهد التاريخ الثابتة فيدلونها باوهام استولت على عقولهم فاعمت بصائرهم عن محجَّة الحق . ولنا الى ذلك دليل باهر فتاريخ السيد اورمانيان بطريرك الارمن الغريغوريين الذي عنوانهُ الكنيسة الارمنيَّة وتاريخها وتعليمها وآدابها وحاضرها (١ نشرهُ في اللغة الافرنسيَّة في باريس

فانَّ هذا الكتاب يكاد يشمل كل الابحاث المختصَّة بالبيعة الارمنية كتاريخها القديم والحديث ومعتقداتها ونظامها وطقوسها وآدابها لولا انَّ كثرة هذه المسائل قد شغلت المؤلف عن التدقيق الواجب والاستقصاء المفروض . وما يستدعي الاسف فوق ذلك انَّ النتائج التي يستخلصها المؤلف من بعض المرويَّات هي مخالفة تماماً لاصدق الاخبار واوثق الشواهد التاريخيَّة

فمن ذلك مدَّعى السيد اورمانيان بانَّ الكنيسة الارمنيَّة كانت دائمًا ابدًا مستقلة لا تنقاد لاوامر غيرها والسبب الذي يسند اليهِ هذه الدعوى انَّ تلك الكنيسة قد انشأها القديس تدَّاوس احد تلامذة السيد المسيح السبعين مع القديسين الرسولين يهوذا الدعو ايضاً تدَّاوس او لبَّاوس ثمَّ برتلماوس . وعلى رأينا انَّ في هذا المزعم قضيَّتين باطلتين : الاولى نظريَّة والثانية وضعيَّة فالقضية النظريَّة انَّ كل كنيسة انشأها احد الرسل هي كنيسة قائمة بذاتها مستقلة من حيث اصلها الرسولي والقضيَّة الوضعيَّة انَّ الكنيسة الارمنية راقية الى الرسل أنشأوها رأساً وكلا القولين باطل

من الامور الثابتة التي لا يختلف فيها اثنان ويؤيدها تعليم الانجيل والتقليد المتواصل وقوانين المجامع انَّ السيد المسيح اراد انشاء كنيسة واحدة نظاميَّة وليس كنائس منفصلة مختلفة عن بعضها . وما من احد ينكر انَّ هذه الوحدة او على الاقلّ هذا الارتباط الوثيق مستحيل ان لم يوجد بين اعضاء هذا الجسم الادبي رابط حقيقي يجمع بين اقسام كنيسة المسيح ويحيطها مشعةً منظَّمةً ولا اتساق ولا نظام الَّا ان

(١ وهذا عنوانهُ : MALACHIE ORMANIAN : *L'Eglise arménienne, son histoire, sa doctrine*, in-8, 192. Paris, Leroux.

يكون لها رأس منظور تنقاد اليهِ وتخضع لهُ . فان فُقد ذاك الرأس تضعضع الجسم وتفرَّقت اعضاؤهُ وفسدت شأن الغصن الذي ينكسر وينفصل عن الشجرة الام فلا يلبث ان يذوى ويجفّ ويعدم كل ثمرة

ومن خواصّ هذه الكنائس المنفردة المعروفة بالوطنيَّة انَّ الحياة الروحيَّة فيها تفنى شيئاً فشيئاً حتى تكاد تصبح شبيهة بالجثَّة المحنَّطة التي ليس لها غير صورتها الخارجيَّة وكذلك لا تجد في هذه الكنائس اثرًا للغيرة الرسوليَّة وهي لا تفكّر في غير عنصرها وجنسيَّتها فهيهات ان تكون هذه كنيسة المسيح الذى امر تلاميذهُ قائلًا : « اذهبوا وتلمذوا الامم كلها » فلو اراد الرب كنيسة وطنيَّة لاقتصر على العنصر اليهودي واهمل تلك الامم مع كونهِ سفك دمهُ الزكيّ لاجلها وليس في المسيح كما قال الرسول لا يهوديّ ولا وثني ولا اقلف ولا مختون ولا يونانيّ ولا بربريّ بل كل الشعوب اصبحت اخوةً مرتبطة برباط الايمان الواحد والتعليم الواحد والرئاسة الواحدة فشتَّان بين كنيسة المسيح والكنائس الوطنيَّة الخالية من النظام الشرعيّ

وهذه الوحدة لا يمكن ألّا الاقرار بها لان السيد المسيح ما امكنهُ ان يتغاضى عنها والعقل السليم يقضي بها لئلّا تصير الكنيسة فوضى لا رئيس لها . وان فتحنا الانجيل وقفنا على الآيات المنيرة التي تجاهر بها اخصُّها قول الربّ لبطرس الهامة (متى ١٦ : ١٥ — ١٧) : « انت الصفاة وعلى هذه الصفاة ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها »

هذه الآية في الترجمة الارمنيَّة واضحة وضوحاً اعظم من الترجمة الآرامية والترجمة السريانية فان العبارة انت الصفاة وعلى هذه الصفاة في الارمنية ( ) تدلُّ على انَّ الرسول بطرس هو الذي يخوّلهُ السيد المسيح السلطة ليكون اساساً لكنيسته والاساس المحكيّ عنهُ لا يُراد بهِ هنا شخص المتكلّم او الرسل عموماً بل شخص المخاطب المفرد اي سمعان بطرس فلو قصد المسيح ان يشير الى نفسهِ او الى الرسل لقال ( ) او ( ) فبقولهِ ( ) أزال كل التباس

ولا إخال المؤلف يجهل النصوص الارمنيَّة التي وردت في تآليف عديدة لجاثقة ارمن منذ خمسة عشر جيلًا وكلّها تصرّح بان السلطة التامَّة على الكنيسة جمعاء قد أُعطيت للقديس بطرس ولخلفائهِ على كرسيّ رومية . وكأنّ السيد اورمانيان نفسهُ

قد اقرّ بذلك اذ اثنى على بطاركة الارمن الذين عاشوا في القرن السادس عشر والسابع عشر واكثرهم قد جاهروا باعتقادهم لرئاسة الكرسي الرومماني واعلنوا بسلطته وكتبوا في ذلك الكتابات المثبتة بمعتقدهم

ومنذ تجدّد كرسيّ اتشميازين في سنة ١٤٤١ الى غاية القرن السادس عشر لم يجد السيد اورمانيان من يستحقّ ذكرًا بين بطاركته ميخائيل السيوانيّ (١٥٤٢ — ١٥٧٠) لكنّهُ اغفل ذكر ما ابداهُ من الخضوع للكرسيّ الرسولي ولا مخالفة يجهل انّ ذلك الرجل الشهير ارسل الى رومية نائبهُ ايجر الطوقاتي وسلّمهُ كتاباً بخط يدهِ الى البابا بيوس الرابع حيث يقول « كل ما تأمر بهِ قداستكم لرسولي اليكم نقبلهُ باطيب خاطر » . ولمّا دخل ايجر على نائب السيّد المسيح اعترف علانيةً « بانّ الحبر الروماني هو رأس العالم المسيحي كلّهِ وراعيهِ » (١

وقد اثنى السيّد اورمانيان ثناء اطيب على الجاثليق يعقوب الرابع الجلفاوي (١٦٥٥ — ١٦٨٠) ونعم ما فعل لانّ هذا الحبر الجليل يكرمهُ جميع الارمن حتى يومنا ويزورون قبرهُ في الاستانة حيث كانت وفاتهُ . وقد اخذنا العجب لما قرأناهُ في تأليف السيّد اورمانيان عن هذا الجاثليق حيث يزعم انهُ كان معادياً للكاثوليك . افلا يعلم سيادتهُ انّ يعقوب الرابع كان يودّ ان يسافر الى رومية ليقدّم لحبر الاحبار « الاقرار بخضوعهِ البنويّ لشخصهِ » وانهُ كتب رسالةً ختمها بحضور القاصد الرسولي السيّد غاباريني (Gasparini) والمرسل اليسوعي گيلي (Guilly) وكان مضمونها دستور ايمانهِ وفيهِ كلام اضوأ من النور في الرئاسة البطرسية قال : « واني اؤمن واعترف ان الكنيسة الرومانيّة العظمى الرسولية الكاثوليكيّة المقدّسة تملك السلطة التامّة العموميّة والعليا والرئاسة والسلطان (plenam) على كل الكنيسة مطلقاً » (٢

---

١) راجع كتاب بلجي (Balgy) في رئاسة الكرسي الروماني وهو مطبوع بالارمنية في نيانا سنة ١٨٥٣ (ص ٣٦٥-٣٦٦) وتاريخ ربنالدي (Raynaldi) في حوادث سنة ١٥٦٤ (عدد ٥١) ومقالتنا عن ايجر الطوقاتي المنشورة في المعجم التاريخي الجغرافي الذي يسعى بطبعهِ السيد بودريار في باريس

٢) راجع كتاب بلجي المذكور ص ٢٧٥و٢٧٦ وكتاب المخطوطات الارمنية للاب داشيان ص ١١٣

فترى ان المبدأ الذي استند اليهِ السيد اورمانيان لا تعترف بهِ الكنيسة الارمنيَّة وانَّ انشاء الكنائس على يد الرسل ليس بحجَّة لاستقلال تلك الكنائس بالسلطة . ولكن هل يا تُرى يمكن السيد اورمانيان ان يثبت تاريخياً نشر النصرانيَّة في ارمينية على يد الرسل وانشاء كراسي اسقفيَّة فيها بواسطتهم ؟

قد راجعنا ما كتبهُ المؤلف في هذا الشأن وما قدَّمهُ من الادلَّة لاثبات زعمهِ فرأينا احتجاجهُ ضعيفاً وان حقيقتهُ التاريخيَّة ليست بمكينة . فانَّ تبشير التلميذ تدَّاوس او ادّي في ارمينية لا يستند الَّا الى قصَّة ابجر ملك الرها وهذه القصَّة يعدّها العلماء في يومنا مصنوعةً . فانَّ اوَّل ملك تنصَّر في الرها انَّما هو ابجر التاسع في القرن الثالث للمسيح فتصرَّف الرواة بهذا الخبر واستبدلوهُ بملك آخر يُدعى ابجر ايضاً ويلقَّب بأوخاما اي الاسود وهو الخامس من اسمهِ وللمحاسن للسيِّد المسيح وبناء على ذلك اخترعوا رسالةً بين السيِّد المسيح والملك ابجر وشفعوها بخبر تبشير تدَّاوس او ادّي في الرها بايعاز الرسول يهوذا او تدَّاوس المعروف ايضاً بلبَّاوس

وهب اننا سلمنا بصحَّة هذه القصَّة وبتنصُّر ابجر في عهد المسيح فماذا يستنتج الارمن من ذلك ؟ فانَّ الرها ليست من بلاد الارمن وقصَّة ابجر تؤكد انَّ التلميذ ادّي او تدَّاوس توفي في الرها وان هناك قبرهُ . فالارمنيّ الذي نقل هذه القصَّة في القرن الخامس سكت عن موتهِ في الرها واخبر انهُ سافر الى جهة الشرق اعني الى جهات ارمينية وانهُ فيها توفي شهيداً (١ وزاد القصَّة مبالغة

وكأن السيد اورمانيان شعر بضعف هذه الاسانيد وسقم قصَّة ادّي احد السبعين تلميذاً فعمد الى رواية اخرى احدث عهداً التي تنسب دعوة بلاد الارمن الى الرسول تدَّاوس او لبَّاوس وهو يهوذا احد الاثني عشر الَّا انَّ هذه الرواية اسقم من القصَّة السابقة كما يتَّفق عليهِ اليوم العلماء الاثبات الذين تعمَّقوا في درس الآثار

---

١) اطلب الصفحة ٤٦ من كتاب العلامة فيلبس (Phillips) الذي عنوانهُ تعليم ادّي (Doctrine d'Addai) وقابلهُ مع الترجمة الارمنية التي نشرها الاب اليشان (ص ٨ و ٣٨ و ٤٥–٤٦)

النصرانية القديمة. فعليه ان يراجع مثلًا ما كتبهُ العلّامة اوتو بَرْدِنهور (١ في الطبعة الثالثة من كتاب اعمال الآباء في مادَّة تدّاوس او لبّاوس وعن تبشيره في مدينة الرها فيثبت ان قصَّة الرسول تدّاوس او لبّاوس انَّما هي ذات قصَّة التلميذ تدّاوس او عدي التي تصرَّف فيها الكتبَة فضاعفوها وجعلوها قسمين . ولدينا في المنقولات اليونانية الراقيـة الى القرن السادس والسابع كاليناون والتأليف المنسوب الى دوروطاوس نحو سنة ٥٢٥ ما ينافي الرواية الارمنيَّـة فانَّ اولئك الكتبة يجعلون استشهاد الرسول تدّاوس وقبرهُ في بيروت (٢ فهـذه الآثار كما ترى لا توافق زعم السيد اورمانيان . وكذلك ميخائيل الكبير في كتاب تاريخه نقل هذه الرواية لكنَّ مترجمهُ الى الارمنيَّة المسمّى اسحاق زعم ان بيروت احدى مدن ارمينية الداخلية (٣

وزعم غيرهم انَّ القديس برتلماوس الرسول بشَّر في ارمينيـة الَّا انَّ روايتهم ليست باثبت سندًا وذلك لانَّ اقدم المؤرخين الارمن الذين رووا هذا الخبر كموسى الخورينى وزينوب دي غلوغ عاشوا بعد القرن السابع وليسوا بثقة ثمَّ انَّ الاخبار التي تروي دعوة القديس برتلماوس في ارمينية تشبه في امور كثيرة ما يُخبر عن غيره من المبشرين في اواخر القرن الثاني واوائل الثالث ولاسيما في قصَّة ادّي والابجر والعلاقة بينهما ظاهرة فيقال هناك انَّ الرسول القديس توما ارسل برتلماوس الى بلاد

(١ PATROLOGIE von Dr Otto Bardenhewer. p. 86, 3e ed., Fri-bourg - in-B., 1900, Herder

وهذه الطبعة الثالثة قد اتقنها صاحبها وزاد عليها واستفاد من المطبوعات الجديدة وقد اثبت هناك (في مادَّة تدّاوس) انَّ موسى الخورينى الكاتب الارمني الذي كان العلماء يعدُّونهُ من القرن الخامس هو في الحقيقة احد كتبة القرن السابع (ص ٥١٣–٥١٥) وانَّ كثيرًا من الروايات التي نشرها في تبشير بلاد الارمن على عهد الرسل لا يوثق بصحَّتها . وتجد في هذه الطبعة نصوصًا عديدة وشواهد لاقدم الآباء في رئاسة الكرسي الرسولي كشهادة اقليمس البابا تلميذ القديس بطرس وخاتمهِ (ص ٣٥) وشهادة القديس اغناطيوس النوراني (ص ٣٠و٣٨) وشهـادة القديس قبريانس (ص ١٧٠) وأبيطاوس الميلوي (ص ٢٧٠) الخ

٢) راجع ما نقلهُ عن احد مخطوطات قيسارية الدكتور دوبشوتس (Dobschütz) في كتابهِ النفيس « صُوَر المسيح ورُسلهِ » (ص ١٨٨)

٣) راجع الصفحة ٩٦و٢٦٦ من ترجمة هذا التاريخ الارمنيَّة المطبوعة سنة ١٧٦٨ جمعهُ العلّامة لنغلوا (V. Langlois) وقابلها بالاصل السرياني الذي اهتمَّ بنشرهِ الاب شابو Chabot سنة ١٨٩٩ ص ١٤٧ من المجلَّد الاوَّل

الارمن فنصر اوكوغي اخت الملك سنادروغ فجنق سنادروغ على الرسول بسبب ذلك فامر بان يُسلخ حيًّا وذلك السنة العشرين بعد استشهاد تدّاوس (١

فان كان احد يكتفي بهذه الشواهد المتأخرة ويدافع عن تبشير الرسل بين الارمن كما يُذكر في السنكسار فلا بأس وانّا لا يجوز لهُ ان يوجب على غيره تصديقها الى أن يأتي بحجج اقدم واثبت ولاسيما انَّ القديس يوحنا فم الذهب سبق وصرّح في احد مياسره (الميمر ٢٢ على شرح رسالة القديس بولس الى العبرانيين (Migne, P. G., vol. 63, col. 179) قائلا اننا نعرف حق المعرفة قبور القديسين الرسل بطرس وبولس ويوحنّا وتوما اما بقيّة الرسل فلا احد يعلم اين دُفنوا

ومن هذا يتّضح قولنا بانَّ القضيّة الثانية التي استند اليها السيّد اورمانيان للدفاع عن استقلال الكنيسة الارمنية الغريغورية لا يوجب اقناعا

هذا وفي كتاب السيّد المذكور مسائل اخرى كان ينبغي علينا ان نعمل فيها النظر لنتقدها لولا ضيق المجال. ونحن على يقين بان العلماء لا يوافقونه في ما كتب عن تاريخ الكنيسة الارمنيّة في القرون الثلاثة الاولى كقوله ان القديس غريغوريوس المنوّر رسول الارمن جعل كرسيّهُ في فلارشاباد (اتشميازين) والصواب في شمالي غربي بحيرة وان. وكذلك لا يجوز القول قطعيًا بان القديس جعل ذلك الكرسي مستقلا خلافًا لما كان جاريًا في كل النصرانيّة بل كان كرسيّهُ متحدًا مع مركز السلطة الرومانيّة بواسطة كرسي قيصاريّة حيث كان وقتئذٍ الاسقف لاونطيوس

وفي الكتاب ايضا مزاعم غريبة كقوله ان الاسرار المقدسة كان عددها في اوائل الكنيسة اثنين فقط. واغرب من ذلك زعمهُ ان الكتائس التي معتقداتها اقلّ عددًا هي افضل مقامًا فيكون على هذا المبدأ الفرانكة افضل من المؤمنين والمبشّرون لكل وحي اولى من قابليه. ومثلهُ غرابةً زعمهُ ان اصلاح كنيسته يتمّ بتخويل رتبة الاسقفيّة لكهنة متزوّجين

فترى انَّ هذا التاريخ الجديد ليس من شأنهِ ان يزيدنا علمًا بالكنيسة الارمنيّة او يمهد السبيل لاتفاق الكنائس بل هو حجر في سبيل البطاء. لاسيما الارمن الغريغوريين الذين لا يمكنهم ان يخصوا اقاويل بطريركهم

(١ اطلب حياة القديسين بالارمنيّة للاب اوشر (J. B. Aucher) ج ٩ ص ٤٤٠

ومن اراد ان يقف على صحّة كثير من هذه المسائل التي شوّهها السيد اورمانيان فعليه بكتاب وضعناهُ نحن ايضاً مؤخرًا في تاريخ ارمينية السياسي والديني حيث سعينا جهدنا في درس آثار الارمن القديمة والتمييز بين صحيحها وسقيمها وغثها وسمينها منذ اوّلها الى اواخر القرن الرابع (١ ومع ما نعلم من تقصيرنا في امور كثيرة لم نلقَ حتى الآن في ما كتبهُ عنهُ العلماء في المجلّات الّا التنشيط والثناء مع ملحوظات عرضيّة كنّا سبقنا واشرنا اليها في مقدّمتنا. فان شاء الله نتابع هذه الابحاث ونتمنّى ان يجارينا في البحث كل محبي التاريخ الارمني. والسلام

النصرانية وآدابها
بين
عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الثالث

النصرانيّة بين عرب الغور والسلط والبَلقا.

انّ نهر الاردن المعروف بالشريعة بعد خروجهِ من اغوار حرمون في جهات بانياس وجريهِ جنوباً فتتكوّن منهُ بحيرة الحولة يصب في بحر الجليل ثمّ يخترقهُ فيسيل منحدرًا الى الاعماق بين ضفّتين ترتفعان شرقاً وغرباً حتى يبلغ تحدُّرهُ نحو ٣٠٠ متر تحت سطح بحر الشام وينتهي الى بحر لوط فتلك الناحية التي يقطعها الاردن تدعى بالغور. وليست تلك الجهة مسيلاً للنهر فقط بل تتّسع ضفافها وترتفع بالتدريج في سعةٍ يقدَّر معدّلها نحو ١٠ كيلومترات فيها البقع المخصبة والنواحي العامرة والعيون المتدفّقة

وان لحظت عبر الاردن وجدت وراء ضفافهِ شرقاً بلادًا واسعة تتلوها الجبال الشاهقة كجبل عجلون وجبل جلعاد وجبل نبو الى جبال مؤاب بينها الشارف

(١ هذا اسم الكتاب:

HISTOIRE POLITIQUE ET RELIGIEUSE DE L'ARMÉNIE par François Tournebize, depuis les origines des Arméniens jusqu'à la mort de leur dernier roi (1393), *Paris, A. Picard*, 1911 in-8°, 872,